(المحاضرة الأولى)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، ومن تبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

يُعدّ علم الحديث الشريف الصادر عن النبي الأكرم والأئمة الأطهار(سلام الله عليهم) من العلوم المهمة ضمن المنظومة المعرفية لطالب البكلوريوس، كون الحديث الشريف هو عبارة عن أقوال وأفعال المعصوم(عليه السلام)، التي من خلالها نفهم مراد الله في ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه.

وقد أكد الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله)على ذلك بحديث الثقلين: " إني تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

ولاشك إن الحديث الصادر عن المعصوم(عليه السلام) له منزلته الخاصة، إذ ورد التأكيد على دراسته من كابر إلى كابر وهذا ما حفظ لنا سنة الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله)الذي ورد عنه(صلى الله عليه وآله)، حين قال: "تحدثوا فإن الحديث جلاء للقلوب"، وجاء الإمام الباقر(عليه السلام)مخاطباً أحد صحابه، قال: " يا فضيل إن حديثنا يحيى القلوب"، وورد عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال: "اعرفوا منازل الناس منا على قدر رواياتهم عنا".

وعليه فإن دراسة الحديث الشريف ومعرفة المصطلحات ذات العلاقة ضرورة من الضروريات لأي طالب علم وبخاصة العلوم الشرعية ؛ إذ إنّ الفقه واستنباط الأحكام متوقف على معرفة هذا العلم الجليل، وبهذا الخصوص يقول العلامة عبد الله المامقاني: "لما كان علما الدراية والرجال من العلوم المتوقف عليها الفقه والإجتهاد عند أولي الفهم والاعتبار، رأيت من الفرض اللازم عليّ عيناً تصنيف كتابين فيهما".

ففي الدراية وعلم المصطلح ألف كتابه (مقباس الهداية في علم الدراية) وهو من أهم مصادر محاضراتنا إضافة الى:

- الرعاية في علم الدراية، للشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي(ت ٩٦٥هـ).
- مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ).
- دروس في علم الدراية، للدكتور رضا مؤدب.
- دروس موجزة في علمي الرجال والدراية وكتاب كليات في علم الرجال، للشيخ جعفر السبحاني.

وبحسب المنهج المقرر للمرحلة الثانية ستكون محاضراتنا في بيان مفاهيم معظم المصطلحات الحديثية (الدرياتية)، وبعض المصطلحات المتعلقة بعلم الرجال، وفيما يأتي بيان مفهوم علم الحديث الشريف.

<u>تعريف الحديث الشريف:</u>

أ- الحديث في اللغة:

هو نقيض القديم، والحدوث نقيض القدم، حدث الشيء يحدث حدوثاً وأحدثه فهو محدث وحديث، ويعني الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على احاديث على غير قياس كقطيع واقاطيع .

ب ـ الحديث في الاصطلاح:

وهو في اصطلاح المحدثين الإمامية (كلام يحكى قول المعصوم او فعله او تقريره)، أو هو: (الكلام الذي يحكى قول النبي*(صلى الله عليه وآله وسلم)* والأئمة المعصومين *(عليهم السلام)* او فعلهم او تقريرهم).

ويعرف عند علماء المسلمين من غير الإمامية بأنه:(ما أضيف الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)قولاً له او فعلاً او تقريراً او صفة حتى الحركات والسكنات)، ومنم من يضيف اقوال الصحابة والتابعين لهم وآثارهم وفتواهم إلى معنى الحديث.

وواقع الحال وفق مباني الشيعة الإمامية فأن كل كلام لا ينتهي الى المعصوم(عليه السلام) لا يّعد حديثاً ؛ لان قول المعصوم(عليه السلام) غالباً ما يكون امراً او نهياً على خلاف حكايته المروية عن المصاحب للمعصوم(عليه السلام) ؛ لأن الصحابة ليس كلهم عدول.

<u>العلاقة بين الحديث الشريف ومصطلحات أخر:</u>

يجد الدارس ان هناك مصطلحات ترد في كتب الحديث ويراد بها نفس الحديث، وهذا يدل على وجود علاقات بين مصطلح الحديث وغيره مما جاء مرادفاً له في المفهوم ولكن بفوارق أستعمالية تنّم على وجود علاقة، ومن أهم هذه المصطلحات، هي: السنة، الأثر، الخبر .

أ ـ السنة:

السنة في اللغة تعني: السيرة، او المسلك، او الطريقة، وفي الاصطلاح ذهب بعض المحدثين الى اعتبار الحديث والسنة مصطلحين مترادفين متساويين، يوضع احدهما مكان الآخر، او اللفظين يأتيان بمعنى واحد في بعض المواضع، ففي كل منهما اضافة " قول او فعل او تقرير او صفة " للنبي*(صلى الله عليه وآله وسلم)* وأهل بيته المعصومين(صلوات الله عليهم) بيد ان رد هذين اللفظين الى اصولهما التاريخية يؤكد وجود فروق دقيقة بين اللفظين، وإذا اخذنا بدقائق الاشتقاق اللغوي لكل من الحديث والسنة يتضح لنا ان لفظ السنة اعم من لفظ الحديث، لأن الحديث هو قول النبي*(صلى الله عليه وآله وسلم)* او قول المعصوم(عليه السلام) وفعله وتقريره، فهو يتحدد بهذه العناصر الثلاثة، في حين ان السنة هي الطريقة، او السيرة المعتادة المحافظ عليها، التي يتكرر الفعل بموجبها، وهذا يعني أن هناك علاقة عموم وخصوص بين السنة والحديث من وجه.

ب ـ الأثر:

الأثر في اللغة: هو النقل، يقال أثرت الحديث أي نقلته، وفي الاصطلاح فقد إخُتلف في معناه على أقوال :

الاول : إنه مرادف لمصطلح (الحديث)، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالحديث (الأثري) .

الثاني : إن الإثر مساوٍ للخبر .

الثالث : إنه أعم من إن يكون قول النبي*(صلى الله عليه وآله وسلم)* او الإمام(عليه السلام) او الصحابي او التابعي وما في معناه من فعلهم وتقريرهم، فيشمل المرفوع للمعصوم(عليه السلام) والموقوف على ما دونه.

يتبن مما سبق إن هذه المصطلحات الاربعة (الحديث- السنة- الخبر- الأثر) توجد بينها علاقات اما تباين او ترادف او علاقة عموم وخصوص، ويبدو ان الترادف بين الفاظ الحديث والخبر والاثر هو الاكثر عند اهل الحديث.

ج - الخبر:

الخبر لغةً: هو ما ينقل عن الغير، اما في الاصطلاح فيمكن تحديده من خلال الفرق بينه وبين الحديث الذي وقع الخلاف فيه على اقوال منها :

١- إنهما مترادفان بمعنى واحد، وهو قول كل إنسان معصوماً كان او غيره، وهو الأشهر في الاستعمال، والأوفق لعموم معناه اللغوي .

٢ - انهما متباينان، فالحديث هو خصوص القول الصادر عن المعصوم(عليه السلام)، بينما الخبر هو خصوص القول الصادر عن غير المعصوم، ومن ثم قيل لمن اشتغل بالتواريخ وما شاكل (الإخباري) ولمن اشتغل بالحديث (المحدث) .

٣ - يرى جماعة من العلماء ان بين الحديث والخبر عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكل حديث خبر ولا عكس، على اعتبار إن الحديث هو المرفوع الى المعصوم(عليه السلام) فقط، وإن الخبر يشمل المرفوع، والموقوف على مادون المعصوم، ومعنى ذلك إن الحديث أخص من الخبر، إي إنّ الخبر عام لقول كل انسان، والحديث خاص بقول مطلق المعصوم(عليه السلام).

هذا ما يخص الحديث والخبر والعلاقة بينهما، فمنهم من قال بالعموم والخصوص بينهما، ومنهم من قال بالترادف وانهما بمعنى واحد، ومنهم من قال بالتباين فالحديث خاص بقول المعصوم(عليه السلام)، والخبر خاص بقول غير المعصوم .

<u>أهمية علم الحديث:</u>

إن الله انزل كتابه على رسوله الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، كما وقد حفظه الله جل شأنه وصانه من التحريف والتغيير بقوله تعالى:﴿ *إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذّكرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ*﴾، وبعث رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) ليبلغ به الامة وليجعله الطريق المنير لكل من اهتدى به، فكانت اقوال واحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بعده اهل بيته من الائمة المعصومين (عليهم السلام) هي مقيدة لمطلق ومفصلة لمجمل ومخصصة لعام، وبصورة عامة فأن هذه الاقوال والاحاديث هي المبينة والشارحة والمفصلة لما جاء في كتاب الله العزيز من تعليمات وتشريعات واخلاقيات وغير ذلك من الامور التي تتطلبها الحياة بصورة عامة، بخاصة إذ عرفنا أن ايات الأحكام في القرآن الكريم لا تشتمل على كل ما نحتاجه في معاملاتنا لغاية ربانية، من هنا تكمن اهمية الحديث الشريف التشريعية وانه لا غنى عنه في كل جوانب الحياة، ومما يؤكد ذلك هو حديث الثقلان المدون في كتب المسلمين عامة، وذلك فيما ورد عن الرسول الكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:"إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

وعليه فإنَّ لعلوم الحديث أهمية خاصة للدارسين والمشتغلين بالعلوم الدينية ؛ وذلك لأنَّ تلك العلوم هي الأساس الصحيح في الاستنباط للحكم الشرعي من قبل العلماء، ولا يمكن لكل فقيه أو أصولي أو باحث في القيم الاجتماعية والأخلاقية أن يستغني عنها ؛ لأن المشتغل في هذه العلوم لابد له من معرفة ما جاء عنها فيما يتعلق بأحاديث النبي والأئمة الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين) وتطبيق القواعد والأسس المتعلقة بتلك العلوم عليها لمعرفة المقبول من المردود في الحديث الشريف، ومن هنا جاءت أهمية الحديث والتي لا يمكن حصرها وعدّها ولكن نجمل منها الآتي:

1- علم الحديث حفظ الشريعة الإسلامية من التحريف والتبديل، فقد نقلت الأمة حديث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرة(عليهم السلام) كابر عن كابر بالأسانيد، وميزت به المقبول من المردود، ولو لا هذا العلم لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف .

٢- أن هذا العلم وضح المنهجية التي سلكها العلماء الأولون لإثبات الحديث وتنقيته من الدخيل بما وضعوا من موازين منضبطة وما سلكوا من سبل تجمع بين المنهج السليم والأمانة العلمية الواضحة لتصحيح المفاهيم الخاطئة، وذلك من خلال القواعد والأسس السليمة لهذا العلم .

٣- من خلال القواعد المنهجية لهذا العلم يمكن للعالم والباحث المختص أن يتجنب الوعيد الذي توعده الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، حين قال:

(من روى عني حديثا، وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين).

٤- انَّ علم الحديث يرتقي بالإنسان المؤمن بمراتب سامية ويأخذ به لجادة الصواب ويهذبه، ومصداق ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر(عليها السلام)، حين قال:

(يا بني ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ؛ فإن المعرفة هي الدراية للرواية).

٥- إنَّ هذا العلم ذو فائدة عظيمة في تحرير الفكر الإنساني عامة والمسلم خاصة، من الخرافات والأباطيل المزيفة التي تمزق شمل الأمة الإسلامة، وتجعلها لا تمييز الحق من الباطل ؛ وذلك يتم بعرض الحديث الشريف على القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومصداق ذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام)، حين قال:

(كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف).

٦- من خلال علم الحديث وقواعده المنهجية يتمكن الدارس والباحث في معاني متون الحديث الشريف من معرفة مضامينها والاطمئنان الى الاستشهاد بها في كافة العلوم، ومصداق ذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق، حين قال:

(حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه).

مما تقدم يتبين أن حديث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار(عليهم السلام) له الأثر الأكبر في تأصيل الكثير من القواعد والأسس التي بنيت عليها الشريعة الإسلامية.

أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال: حدثني عدة من أصحابنا منهم محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب ، وإياك أثيب).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعداد

م. د. قائد الأعرجي

اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) بالحديث الشريف:

إن لأهل البيت(عليهم السلام) دوراً رائداً في نشر وتدين الحديث عند المسلمين عامة والشيعة الإمامية بصورة خاصة، ولا غرابة في ذلك كونهم الامتداد الطبيعي لجدهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام)، أنه قال:

(حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل).

لقد كانت القرون الثلاثة ـ الأول والثاني والثالث الهجري ـ التي عاشها الأئمة الأطهار(عليهم السلام) عصراً يواجه عقبات عظيمة في ميدان الرواية وتدوين الحديث.

ففي القرن الأول الهجري عاش اربعة من الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وهم:

أولاً: الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام): ولد الإمام في الثالث عشر من رجب سنة(٢٣ ق هـ / ٥٩٩م)، وكان(عليه السلام) إماماً للشيعة بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) سنة (١١هـ / ٦٣٢م)، لمدة ثلاثين عاماً، فكان (عليه السلام) محوراً ومصدراً للحديث الشريف، وكان كل ما يقوله ويعمله معدوداً كسنة دينية، وللإمام (عليه السلام) أحاديث كثيرة دالة على أهمية حفظ وكتابة الحديث منها :

١- قوله (عليه السلام) :

(قيدوا العلم ، قيدوا العلم) .

٢- قوله (عليه السلام) :

(القراءة عليه بمنزلة السماع منه) .

يتضح من الروايتين المتقدمتين تأكيد الامام عليه السلام على تقييد العلم بالكتابة والقراءة، والمراد من العلم العلوم الدينية الصادرة عن الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الاطهار (عليه السلام) .

وتتضح اهمية التدوين لدى لامام علي (عليه السلام) من خلال مدوناته (عليه السلام) ومنها : الصحيفة الجامعة وتسمى كتاب علي (عليه السلام)، والتي تعتبر من اوائل ما كتبه الامام (عليه السلام) باملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد دون قسم منها في زمن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والاخر بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهي تضم الاحكام الشرعية والفروض لذلك سميت بصحيفة الفرائض، وقد تناقلها الائمة(عليهم السلام)، وقد اطلع عليها بعض المصاحبين للمعصوم(عليهم السلام)، وكذلك له (عليه السلام) كتاب في علوم القران ويسمى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وللإمام كتاب نهج البلاغة الذي جمعه السيد الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ)، وللكتاب شروح كثيرة تصل الى ثمانين شرحاً، استشهد الإمام في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة(٤٠هـ / ٥٩٩م).

ثانياً: الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب(عليه السلام): أبو محمد المجتبى ثاني أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وسيد شباب أهل الجنة.

ولد الإمام الحسن(عليهم السلام) في ليلة النصف من رمضان سنة(٣هـ / ٦٢٥م) في مدينة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان إماماً للشيعة بعد استشهاد أبيه(عليه السلام) لمدة عشر سنوات .

وقد سار الإمام على نهج أبيه وجده رسول الله(صلوات الله عليهم) في التأكيد على أهمية العلم وتدوينه وما يؤكد ذلك هو قوله في وصية لأبناءه وأبناء أخيه، حين قال(عليه السلام):

(فتعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يرويه فليكتبه وليضعه في بيته) .

وسُئِل الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) عن الرجل يكون له ثمانون سنة ، يكتب الحديث ؟ قال : (إن كان يحسن أن يعيش)، واستشهد الإمام الحسن المجتبى في السابع من صفر سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) .

ثالثاً: الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام): أبو عبد الله، ثالث الأئمة الأطهار سبط الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الثاني بعد أخيه الحسن(عليهما السلام)، أحد الخمسة أصحاب الكساء .

ولد الإمام الحسين(عليه السلام) في الثالث من شعبان سنة(٤هـ / ٦٢٦م) في المدينة المنورة، وكان إماماً للشيعة بعد استشهاد أخيه الحسن المجتبى(عليه السلام) لمدة أحد عشر سنة .

لم يختلف الإمام الحسين(عليه السلام) عن أخيه وأبيه وجده(صلوات الله عليهم أجمعين) في التأكيد على ضوابط التحديث وأهمية كتابة الحديث الشريف ومصداق ذلك قوله(عليه السلام)، حين قال:

(اسمعوا مقالي، واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس ووثقتم به

فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا) .

إنَّ دلالة التأكيد على ضوابط التحديث واضحة في كلام الإمام من حيث السماع والتدوين والوثوق، مما كشف عن رضا الإمام(عليه السلام) بكتابة سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأولوية المعلومة.

رابعاً: الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) (ت٩٥هـ) :

أبو محمد زين العابدين رابع الأئمة الأطهار(عليهم السلام) ، ولد في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦هـ /) بمدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكان إماماً للشيعة لمدة أربع وثلاثين سنة، كانت تلك السنين حافلة بأنواع الجهاد، إذ أنه شارك أبيه الحسين(عليه السلام) في ملحمة كربلاء الخالدة ولم يرزق الشهادة بمشيئة ربانية ليتولى قيادة الأمة بعد أبيه(عليه السلام)، وبعد ذلك يجد المتتبع جهاده الفكري والعلمي والاجتماعي والتربوي جلياً واضحاً في مدوناته(عليه السلام) .

لا يختلف منهج الإمام زين العابدين(عليه السلام) عن منهج آبائه في التأكيد على رواية الحديث وتدوينه، وكان يعتبر ذلك وصية جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد ورد عن الإمام زين العابدين أنه قال بحق طلبة العلم:

(مرحبا بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

وقال(عليهم السلام):

(إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له).

وأهم ما يميّز عهد الإمام السجاد(عليه السلام) هو طول مدة إمامته، والآثار العلمية المدونة عنه (عليه السلام) ومنها الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، كذلك كثرة الراوون عنه ومنهم: زيد بن علي بن الحسين الشهيد(عليه السلام)، وأبان بن تغلب بن رياح، وأبو حمزة الثمالي، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب المخزومي .

يعتبر القرن الثاني الهجري نهاية عهد الظلم الأموي وبداية مرحلة جديدة لم تكن فيها سلطة بني العباس قد اخذت شكلها الحقيقي بعد، ففي القرن الثاني الهجري عاش اربعة من الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وهم:

أولاً: الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين الشهيد(عليهم السلام)(ت١١٤هـ):

أبو جعفر خامس الأئمة الأطهار(عليهم السلام) ، كانت مدة إمامته عشرين سنة ولد في مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة(٥٧هـ).

يعتبر عهد الإمام الباقر(عليه السلام) بداية نشر الحديث الشريف دون تردد أو خوف ؛ وذلك لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أمر برفع المنع عن رواية وكتابة الحديث الشريف بشكل رسمي، وذلك حين كتب الى أبي بكر بن حزم كتاب جاء فيه: (أنظر ما كان من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء) .

وللإمام الباقر (عليه السلام) أحاديث تؤكد على طلب الحديث الشريف وكتابته منها:

١ـ **(أعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإن المعرفة هي الدراية للرواية و بالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الايمان)**

٢ـ **(سارعوا في طلب العلم فوالذي نفسي بيده لحديث واحد تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة)** .

كان للإمام(عليه السلام) عدد من رواة الحديث بلغ نحو خمس مئة راوٍ، بعضهم يعتبر من أصحاب الأصول التي أعتمد عليها علماء الإمامية، ومن هؤلاء الرواة: نصر بن مزاحم، ومسعدة بن صدقة

معاذ بن مسلم، وظريف بن ناصح، وغيرهم.

ثانياً: الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام):

أبو عبد الله الصادق سادس أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ولد في المدينة المنورة سنة(٨٣هـ) وأستشهد فيها سنة(١٤٨هـ)، وقد ازدهرت المدرسة العلمية التي أسسها أبوه الإمام الباقر (عليه السلام)، وتخرج على يده(عليه السلام) مئات العلماء في كل مجالات العلوم حتى ورد أنّ تلامذته بلغوا أربعة آلاف، منهم جمع من التابعين الكبار أمثال: أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري وغيرهم.

وردت عن الإمام الصادق(عليه السلام) روايات كثيرة حول أهمية حفظ الحديث وتدوينه، وله السبق في التأكيد على ضرورة حفظ وتدوين أحاديث المعصومين(عليهم السلام)، ومن تلك الروايات ما ورد عنه(عليه السلام) حين قال:

١ـ **(اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا)**.

٢ـ **(احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها)** .

ومما يؤكد ازدهار وتطور الحركة العلمية في عهد الإمام الصادق(عليه السلام) هو وصول الكثير من الآثار المدونة المنسوبة له (عليه السلام) ولولا توجيهه كما في الرواية الأولى على الكتابة ومن ثم الاحتفاظ بما مكتوب كما اكدت الرواية الثانية لما وصل الينا ذلك، ومن الآثار المنسوبة للإمام هو: كتاب التوحيد، والجعفريات، وكتاب الحج .

ولاشك أن هذه الثورة العلمية التي قادها الإمام الصادق(عليهم السلام) لها خصائص جعلتها تتميز عن غيرها من المدارس، بما حملته من معطيات كان لها الأثر البالغ في تطور الحركة العلمية عند الشيعة الإمامية، ومن أهم الخصائص التي تميزت بها مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) هي:

أ ـ حققت مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) إنجازاً عظيما فيما يتعلق بحفظ الحديث والتأكيد على تدوينه، للحفاظ عليه من الضياع والتحريف ، وذلك من خلال الاجراءات التطبيقية التي قام بها الامام (عليه السلام) آنذاك .

ب ـ تعتبر مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) من أكبر المدارس منذ بداية الرسالة المحمدية وحتى عهد الإمام (عليه السلام) ؛ وذلك لأنها لم تنطوي على فئة معينة من الموالين للإمام(عليه السلام)، وإنما انفتحت لتضم الطلاب من مختلف الاتجاهات، إذ تخرج منها أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى حيث يقول في فضل هذه المدرسة إمام المذهب الحنفي أبو حنيفة النعمان(لولا السنتان لهلك النعمان) ، وقد استوعبت عدد من الدارسين والرواة لم يشهد له نظير .

ج ـ لم تقتصر مدرسة الإمام بعلم معين وحقل محدد كالفقه أو الكلام، وإنما شملت مجموعة من العلوم الدينية وغير الدينية، ومن هذه العلوم هي: علم الفلك، والطب، والحيوان، والكيمياء، والفيزياء، فضلاً عن علوم القرآن، والفقه، والكلام، والأخلاق .

د ـ اتسمت مدرسة الامام الصادق (عليه السلام) بمناقشة رؤوس الاتجاهات المنحرفة كمنكري وجود الله (عز وجل) ومنكري الرسالة ، من الزنادقة والملحدين كالديصاني وابن ابي العوجاء.

وكذا مناقشة اصحاب التيارات المنحرفة داخل المسلمين كالمعتزلة والمفوضة والمرجئة واصحاب الرأي والقياس وامثالهم ، وقد استخدم الامام (عليه السلام) المنهج القراني في التعامل مع تلك الاتجاهات من محاورتهم والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعضة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ، وبلا تعصب او الدعوة الى قتله او تكفيره.

هـ ـ اهتمت مدرسة الامام الصادق (عليه السلام) بجانب التخصص العلمي في مختلف الجوانب معرفية الدينية ، لانتاج العمق والابداع في كل جانب كتخصص هشام بن الحكم في علم الكلام ومباحث الإمامة، و تخصّص زرارة بن أعين في الفقه وأصوله وتفسير القرآن الكريم، كما تخصَّص في الكيمياء جابر بن حيّان الكوفي .

ثالثاً: الإمام موسى بن جعفر الصادق (عليه السلام) :

العبد الصالح الأمين سابع الأئمة الأطهار(عليهم السلام) كاظم الغيظ، ولد في المدينة سنة(١٢٨هـ)، واستشهد ببغداد في عهد هارون الرشيد سنة(١٨٣هـ) وكانت مدة إمامته(عليه السلام) نحو خمسة وثلاثين سنة، وقد شهد الإمام الصادق بعلم ولده الإمام الكاظم(عليهما السلام)، وذلك حين قال:

(وعنده علم الحكمة والفهم والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم) .

لقد واجه الإمام الكاظم(عليه السلام) ضغوطات سياسية من قبل الحكومة في عهده تمثلت في حبسه الطويل، إلا إنه استمر في نشر العلم والاهتمام بالرواة وتهذيبهم وتوجيههم صوب طلب الحديث الشريف، وخير مثال على ذلك هو قول الإمام لأحد تلامذته حينما سأله عن المعرفة قال(عليه السلام) :

(إذهب تفقه واطلب الحديث).

ولا شك أنَّ الآثار المدونه عن الإمام موسى بن جعفر خير شاهد ودليل على أهمية تدوين الحديث وحفظه في ذلك العهد ومن تلك الآثار هو:

١ـ مسند الإمام موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام): وهو كتاب فيه روايات أسندها الإمام الكاظم عن آبائه الى جده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٢ـ الرسائل والرسالات: وهي كتب ورسائل وجهها الإمام الكاظم الى أصحابه، كلها أحاديث شريفة مما يدل على أهمية كتابة وتدوين الحديث، وقد وجه الإمام بعض رسائله الى أصحابه من قعر السجون .

وكان للإمام مجالس للحديث يحضرها رغم الأجواء العصيبة آنذاك، حيث ورد عن زيد النهشلي وهو أحد الرواة عن الإمام الكاظم، حين قال: (كان جماعة من خاصة أبي الحسن (عليه السلام) من أهل بيعته وشيعته ، يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح، فإذا نطق أبو الحسن (عليه السلام) بكلمة أو أفتى في نازلة ، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك) .

وقد روى عن الإمام نحو(٣١٠) من الرواة ألفوا نحو(٢٠٠) كتاب ، وبلغ عدد الأحاديث المروية عنه نحو(٢٢٠٠) حديث .

رابعاً: الإمام علي بن موسى بن جعفر:

أبو محمد الرضا(عليه السلام)، ثامن الأئمة المعصومين الأطهار(عليهم السلام)، ولد سنة(١٤٨هـ) واستشهد في سنة(٢٠٣هـ) بمدينة مشهد في إيران، وكانت مدة إمامته نحو عشرون سنة ثلاث منها في مطلع القرن الثالث الهجري .

لم يكن عهد الإمام الرضا(عليه السلام) وإنما شهد صراعاً سياسياً واختلافاً مذهباً أكثر من عهد ابيه الكاظم وجده الصادق(عيهما السلام)، إلا أن ذلك لم يؤثر على منهج الإمام(عليه السلام) وأهتمامه في نشر الحديث الشريف وتدوينه، ومما يؤيد ذلك هو الروايات الواردة عنه(عليه السلام) في توجيه أصحابه بالاهتمام بحفظ الحديث وتدوينه ومنها:

١. عن حمزة بن عبد الله الجعفري قال للإمام الرضا(عليه السلام) جعلت فداك ان أصحابنا رووا حديثا ما أنكرته غير انى أحببت ان أسمعه منك قال فنظر فيه ثم طواه حتى ظننت انه قد شق عليه ثم قال(عليه السلام):
(هو حق فحوله في أديم) .

٢. عن أحمد بن عمر الحلال قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول : اروه عني يجوز لي أن أرويه عنه ؟ قال : فقال(عليه السلام) :
(إذا علمت أن الكتاب له فاروه عنه) .

كذلك للإمام الرضا(عليه السلام) مدونات كُتِب فيها أحاديث آبائه وأجداده المعصومين(عليهم السلام)منها:

١. مسند الإمام الرضا(عليه السلام) .
٢. الرسالة الذهبية .
٣. أمالي الإمام الرضا(عليه السلام) .

وقد بلغ عدد الرواة عن الإمام الرضا(عليه السلام) نحو(٣١٨) راوياً، لبعضهم مؤلفات في الحديث الشريف، ومن بعض أصحابه(عليه السلام) والذين لهم كتب هم:

١. أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي .
٢. الحسن بن علي الخزاز .
٣. محمد بن أحمد بن قيس بن عيلان .

يعتبر عهد الإمام الرضا(عليه السلام) عبارة عن حلقة الوصل بين القرنين الثاني والثالث الهجري، ويلاحظ أنَّ هناك تطوراً كبيراً فيما يتعلق بتطور الحركة العلمية وبخاصة فيما يتعلق منها بعلوم الحديث الشريف .

تطور كتابة الحديث في عهد الائمة (عليهم السلام) في القرن الثالث الهجري:

يعتبر هذا القرن عصر ازدهار العلوم الاسلامية عند الإمامية، إذ نشط فيه التأليف فظهرت كتب الأصول ومسانيد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) التي اعتمدتها العلماء في مدوناتهم،وقد برز في هذا العصر كثير من الرواة الحفاظ وأصحاب الكتب ممن كان على أيديهم تأسيس كثيرٍ من علوم الحديث الشريف .

وقد قاد الحركة العلمية في هذا القرن ثلاثة من الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وهم:

أولاً: الامام محمد بن علي الجواد (عليها السلام) :

الإمام التاسع من أئمة الشيعة الإمامية، كانت وفاته سنة(٢٢٠هـ)، ومدة إمامته(١٧)عاماً وقد عاصر المأمون والمعتصم .

لقد كان للإمام دوراً مهماً في نشر العلم وكتابة الحديث الشريف وحفظه وذلك من خلال وصاياه لأصحابه وتأكيده على ذلك، وكان اذا عرض عليه حديث ليس بصحيح فأنه ينقده مع عرضه للدليل وهذا يدل على تطور الحركة العلمية وحرية الفكر عند علماء الإمامية وعلى رأسهم الأئمة الأطهار .

وبلغ عدد رواة وتلامذة الإمام نحو (١١٠) راوٍ، وقد رووا عنه أكثر من مائتي رواية جُمعت في مسند الإمام الجواد الذي يضم موضوعات مختلفة في الفقه والعقائد وغيرها، ومن اهم الرواة عن الإمام هم : احمد بن محمد بن خالد البرقي والحسين بن سعيد الأهوازي .

وقد كتب نحو (٢٦) راوياً من الرواة عن الإمام (عليه السلام) (٧٨) أصلاً من الأصول المعتمدة عند الشيعة الإمامية .

ثانياً: الإمام الهادي (عليه السلام) : هو علي بن محمد الهادي وهو عاشر أئمة الشيعة ، وقد توفي سنة(٢٥٤هـ) ومدة إمامته (٣٣) سنة .

وكان الإمام الهادي (عليه السلام) يسعى في نشر الثقافة الدينية ولاسيما عن طريق نشر الأحاديث وكتابتها، وخير دليل على ذلك هو تلك الآثار المدونة له(عليه السلام) ومنها:

١ ـ الأمالي في تفسير القرآن : كتبها اثنان من أصحابه ، وكانت بإملاء الإمام الهادي(عليه السلام).

٢ ـ رسالة الرد على اهل الجبر والتفويض ، وقد نقلها ابن شعبة.

٣ ـ كتاب في أحكام الدين ، وقد نقله الأمين العاملي.

٤ ـ نسخ واصول اخرى ، وقد نقلها عن الإمام (عليه السلام) رواة ، منهم :

علي بن الريان بن الصلت ، علي بن جعفر الهماني ، عيسى بن احمد بن عيسى أبن المنصور، ابو طاهر بن حمزة بن اليسع، وتم طبع مجموعة الروايات التي رواها عشرون من رواة الإمام تحت عنوان (مسند الإمام الهادي(عليه السلام)) ، وقد روى رواة الإمام الذين يبلغ عددهم (١٨٥) اكثر من (٤٠٠) أصل.

ثالثاً: الإمام العسكري (عليه السلام) : هو الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، وهو الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة ، وكانت وفاته سنة (٢٦٠هـ) وعاش في محلة العسكر ومدة إمامته ستة أعوام، وكان للإمام أصحاب يدونون الحديث مع قسوة الظرف في عصره، وان رواته بلغوا أكثر من مائة راوٍ، وقد كتب أصحابه آثاراً في الروية وصلنا منها اكثر من مائة أثر ، ومن هؤلاء : علي بن حسن بن فضال الذي كتب (٣٦) كتاباً ، ومحمد بن حسن الصفار وقد كتب (٣٥) كتاباً ، وعبد الله بن جعفر الحميري الذي كتب (١٩) كتاباً.

وقد كان الإمام العسكري (عليه السلام) يشجع كتاب الحديث ويحثهم باستمرار، فقد روى داود بن قاسم الجعفري، قال : عرضت على أبي محمد صاحب العسكر(عليه السلام) كتاب يوم وليلة ليونس ، فقال لي : تصنيف من هذا؟ فقلت : تصنيف يونس مولى آل يقطين ، فقال عليه السلام :

(اعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة) .

وللإمام الكثير من الآثار المدونة منها: تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وكتاب المنقبة، مما يؤكد اهتمام الإمام(عليه السلام) بتدوين الحديث وحفظه .

وبنهاية عهد الإمام العسكري(عليه السلام) وفي أوائل عهد الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف) أي في عهد الغيبة الصغرى، كان الإمام (عليه السلام) يجيب عن الأسئلة المختلفة ، وقد عرفت بـ" التوقيعات" وقد نقلها الشيخ النجاشي عن أبي العباس الحميري ، وقام الشيخ الصدوق أيضاً في كتاب كمال الدين بنقل بعضها ، كما نقل المجلسي عدداً منها في الأجزاء (٥٢ و ٥٣) من بحار الأنوار ، وقام بنشر هذه التوقيعات النواب الأربعة للامام عليه السلام ، وبهذا وصلت هذه التوقيعات وسائر مدونات الأئمة إلى الأجيال اللاحقة .